الدرس التاسع

الشرك الأكبر وأنواعه

obeikandl.com

obeikandl.com

خطر الشرك

الشرك مصدر مشتق من الفعل الرباعي أشرك يشرك إشراكاً فهو مشرك، وفي الاصطلاح: هو ضم غير الله تعالى إليه في الربوبية خلقاً وإيجاداً وفي الألوهية طاعة وانقياداً وفي الأسماء والصفات تنزيهاً أو إثباتاً.

ويحمل الشرك معنى الشركة وهي تدل على ضعف المشتركين في حال الإنفراد، والله تعالى غني عن العالمين ولذلك فإنه لا يقبل الشركة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾(١).

وللشرك خطره على الفرد وعلى المجتمع وعلى البيئة:

أولاً: ـ خطره على الفرد: ـ ينشأ عن الشرك بالله تعالى بطلان الإيمان، ويترتب على بطلان الإيمان بطلان العمل: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾(٢).

لأن قبول العمل يعتمد على الإيمان اعتماد البنيان على أساسه فمتى فقد الأساس أو تصدع انهار البنيان: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾(٣)، ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ﴾(٤)، وببطلان الإيمان والعمل يحرم المشرك الجنة يوم القيامة: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾(٥)، كما أن الشرك يؤدي إلى وقوع المشرك في الاضطراب النفسي الذي يؤدي به إلى الشقاء لفقدان الأمن في نفسه كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾(٦).

---

(١) النساء آية ٤٨.
(٢) الزمر آية ٦٥.
(٣) إبراهيم آية ١٨.
(٤) النور آية ٣٩.
(٥) المائدة آية ٧٢.
(٦) الأنعام آية ٨٢.

ثانياً: ـ خطر الشرك على المجتمع: ـ

أوجد الله تعالى البشر وفيهم طبيعة الاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض، وينشأ عن اجتماعهم تعامل في مختلف صعد الحياة، ولما كانت عقولهم متفاوتة فإنه ينشأ فيما بينهم اختلاف من جراء ذلك التعامل فيحتاجون إلى جهة يتلقون عنها التشريعات ويطيعونها لضبط علاقاتهم، وإن وحدة مصدر التلقي تؤدي إلى وحدة التصور فيهم، وإن تعددية مصادر التلقي تؤدي إلى تفاوت التصور فيما بينهم مما ينشأ عنه نزاع فصراع فصدام فيشقى المجتمع بنتائج هذا الصدام ويدمر بعضه بعضاً، ولهذا أمر الله تعالى بتوحيده في الطاعة فقال ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[1]، ونهى عن الشرك به في ذلك، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾[2]، فالشرك سبب في شقاء المجتمع على كل المستويات: العقائدية والفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها.

ثالثاً: ـ خطر الشرك على البيئة: ـ

خلق الله تعالى الكون ووضع له سنناً كونية لضبط حركته، وخلق الإنسان في هذا الكون ووضع له سنناً شرعية لضبط تصرفاته، وأعطاه الحرية والاختيار وأمره بالعمل بالسنن الشرعية لينسجم مع هذا الكون وينشأ عن هذا الانسجام العطاء الرباني: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ۝١٢﴾[3]، وبدون الالتزام بالسنن الشرعية يكون المنع والشقاء، ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ۝١٥ فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ۝١٦ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْ وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ۝١٧﴾[4]، فصارت السنن الشرعية للكون كالروح للبدن ـ كما قلنا سابقاً ـ، ولهذا فإنه حين تكثر المعاصي والفسوق والكفر في الناس آخر الزمان تكثر فيهم الزلازل والبراكين والخسوف وحين يتمحض الشرّ في الأرض

---

(١) الإسراء آية ٢٣.
(٢) الأنعام آية ١٥٩.
(٣) نوح آية ١٢.
(٤) سبأ آية ١٥.

تقوم الساعة ويتهدم الكون كما يتهدم البدن بخروج الروح منه كما قال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله»[1]، وفي رواية: «لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق»[2].

أنواع الشرك وأقسامه

ينقسم الشرك بالله تعالى إلى قسمين: الشرك الأكبر والشرك الأصغر.

القسم الأول: الشرك الأكبر:

وهو إضافة غير الله تعالى إليه في الربوبية في الخلق والإيجاد وفي الألوهية في الطاعة والانقياد، وفي الأسماء والصفات في التنزيه والإثبات.

والشرك الأكبر لا يغفره الله تعالى لمن يموت عليه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[3]، ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ۝٦٥﴾[4]، وهذا الشرك يخلد صاحبه في نار جهنم لقوله ﷺ: «من مات يشرك بالله شيئاً دخل النار»[5]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾[6].

أولاً: الشرك في الربوبية

وهو على نوعين: سلبي وإيجابي:

النوع الأول: الشرك السلبي: كشرك الشيوعية لأنهم ينفون وجود الله تعالى أصلاً، فيقولون: لا إله والحياة مادة.

---

(١) رواه مسلم. انظر مختصر مسلم للمنذري ح ٢ ص ٢٩٥ كتاب الفتن. باب لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله، رقم الحديث ٢٠٢٠.
(٢) نفس المصدر. رقم الحديث ٢٠٢٢ عن ابن مسعود مرفوعاً.
(٣) النساء آية ٤٨.
(٤) الزمر آية ٦٥.
(٥) رواه مسلم. انظر مختصر مسلم للمنذري ح ١ ص ٢٠ كتاب الإيمان. رقم الحديث ٥٢.
(٦) المائدة آية ٧٢.

والنوع الثاني الشرك الإيجابي: وهو إضافة معبود آخر مع الله تعالى في ذاته، وذلك كشرك المجوسية فإنهم يؤمنون بوجود إلهين اثنين، أحدهما يخلق الشر وثانيهما يخلق الخير، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ﴾(١).

ثانياً: الشرك في الألوهية

وهو على نوعين: سلبي وإيجابي.

النوع الأول: ـ الشرك السلبي: ـ وله صورتان.

الصورة الأولى: ـ شرك سلبي كلي: ـ كشرك الدهرية وذلك بترك عبادة الله تعالى مطلقاً كما كان يقول بعض فئات العرب في الجاهلية: إن هي إلا أرحام تدفع وأرض تبلع. كما قال تعالى حاكياً عنهم ذلك: ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ﴾(٢).

الصورة الثانية: ـ شرك سلبي جزئي: ـ وذلك بترك بعض أنواع من العبادات وعدم الاعتراف بها، كمن يعترف بالصلاة والصيام وينكر الزكاة والحج، أو يعترف بالعبادات البدنية وينكر المعاملات المالية أو يعترف بهذه وتلك ولكنه ينكر العقوبات الشرعية كالحدود والقصاص والتعزيرات، أو كمن يؤمن بنظام العبادات في الإسلام ولكنه يأخذ نظام الاقتصاد الرأسمالي الغربي أو الاشتراكي الشرقي من الآخرين، فإن من فعل ذلك يبطل إيمانه ويبطل عمله بالتالي، لأنه قد أشرك بالله تعالى غيره في العبادة.

النوع الثاني: ـ الشرك الإيجابي: ـ بإضافة غير الله تعالى مع الله تعالى في العبادة، ويدخل هذا الشرك في عمل القلب وعمل اللسان وعمل الجوارح.

الصورة الأولى: ـ الشرك القلبي: ـ ويدخل ذلك في الإرادة والمحبة والتوكل والطاعة، فمن أراد لنفسه خلاف ما أراده الله تعالى له من الأحكام الشرعية مع العلم والاختيار يكون قد وقع في الشرك الأكبر القلبي، ومن أحب غير الله تعالى

---

(١) النحل آية٥١.
(٢) الجاثية آية٢٤.

كمحبته لله تعالى أو أشد فقد وقع في الشرك الأكبر، والتوكل على الله تعالى من عمل القلب وذلك حين يرضى المرء بما قدر الله تعالى له أو عليه بعد أن يأخذ بالأسباب المادية. لأنها من توكل الجوارح فلا يغني توكل القلب عن توكل الجوارح، ولا يغني توكل الجوارح عن توكل القلب، فمن استغنى بأحدهما عن الآخر فقد أشرك بالله تعالى، والشرك يبطل الإيمان وبالتالي يبطل العمل ويورد صاحبه نار جهنم يوم القيامة.

والطاعة من عمل القلب، وهي تعني الإذعان والتسليم، فمن قدم طاعة غير الله تعالى على طاعة الله تعالى فيما حرم الله تعالى في حال الاختيار فقد أشرك بالله تعالى، وأما في حال الإكراه فقد تجاوز الله تعالى عنه، كما قال تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ﴾[1]، وفي الحديث: «رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه»[2].

الصورة الثانية: الشرك اللساني:

أولاً: ـ الدعاء: ـ وهو التوجه بالطلب إلى من يقدر على قضاء جميع الحاجات وهو مشروع بقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾[3]، وفي الحديث الصحيح: «الدعاء هو العبادة»[4]، وقد قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾[5]، وهناك فرق بين الدعاء والطلب. فالدعاء: فيه سؤال ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، وأما الطلب ففيه سؤال ما يقدر عليه المطلوب منه.

---

(١) النحل آية ١٠٦.

(٢) رواه ابن ماجه عن ابن عباس مرفوعاً بلفظ (إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه) ورواه ابن حبان عنه مرفوعاً وكذا الحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين. انظر كشف الخفاء ح ١ ص ٥٢٢ رقم الحديث ١٣٩٣.

(٣) غافر آية ٦٠.

(٤) رواه أبو داود وابن ماجه والنسائي والترمذي وصححه عن النعمان بن بشير مرفوعاً، انظر بلوغ المرام ص ٣١١ باب الذكر والدعاء. رقم الحديث ١٥٧٦.

(٥) البقرة آية ١٨٦.

فمن دعا غير الله تعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى فقد أشرك بالله تعالى، كمن يدعو نبياً أو ولياً أو شهيداً أو صالحاً من الناس قد مات فإنه يكون قد أشرك بالله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾[1]، فالدعاء عبادة من حيث الأصل ولكنه قد يوقع صاحبه في الشرك بالله تعالى من حيث الممارسة الخاطئة، ويشترط لصحة الدعاء ثلاثة شروط: -

الشرط الأول: - إيمان الداعي: - قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[2]، ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾[3].

الشرط الثاني: - العدل في الدعاء: - بأن لا يطلب الداعي ما يخالف سنن الله تعالى الكونية كمن يدعو الله تعالى أن يجعله من المخلدين في الدنيا أو في منزلة الأنبياء ونحو ذلك فإنه من العدوان في الدعاء ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝٥٥﴾[4].

الشرط الثالث: - طيب الكسب: - ففي الحديث: «يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة»[5]، وفي الحديث أيضاً: ذكر النبي ﷺ «الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يقول يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب له»[6].

ثانياً: - الحلف: - وهو تأكيد القول أو الفعل المحلوف عليه بأعظم معظم عند الحالف، وهو مشروع بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾[7]،

---

(١) الأعراف آية ١٩٤.
(٢) العصر آية ٢.
(٣) الرعد آية ١٤.
(٤) الأعراف آية ٥٥.
(٥) رواه الطبراني في معجمه الصغير عن ابن عباس مرفوعاً. انظر الترغيب والترهيب ح ٢ ص ٥٤٧ كتاب الذكر والدعاء. باب طلب الحلال واجب على كل مسلم. رقم الحديث ٨.
(٦) رواه مسلم والترمذي عن أبي هريرة مرفوعاً. نفس المصدر. رقم الحديث ١.
(٧) البقرة آية ٢٢٤، أي لا تجعلوا اليمين بالله تعالى عارضاً يمنعكم من فعل الخير كما في تفسير القرطبي ح ٣ ص ٩٨ المسألة الثالثة قلت: ومفهومه أنه يجوز الحلف في فعل الخير أو التأكيد عليه، والآية في سورة البقرة آية ٢٢٤.

وفي الحديث: «من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت»[1]، ووجه الدخول في الشرك بالحلف أنه إذا حلف بغير الله تعالى فإنه يكون قد جعل غير الله تعالى مضاهياً عنده في التعظيم لله تعالى أو أكثر منه.

ثالثاً: ـ النذر: ـ وهو إلزام المرء نفسه بنوع من القربات لم تتعين عليه في الشرع، كأن يقول: لله على أن أتصدق بمائة دولار إن شفا الله تعالى مريضي فلان، أو أن أصوم لله تعالى ثلاثة أيام. إن عافى الله تعالى مريضي، وهو من حيث الأصل مباح وقيل إنه مكروه[2] ولكنه في الحالتين يجب الوفاء به عند النذر لقوله تعالى: ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾[3]، ولكنه حين كان صاحبه لا يفعل هذه العبادة إلا في مقابل معافاة المريض على جهة المعاوضة مع الله تعالى فإنه قد أصبح مكروهاً في الشرع لما يحمل من معنى البخل على نفسه في علاقة العبد مع ربه بالمعاوضة، ولهذا نهى ﷺ عن النذر وقال (إنه لا يأتي بخير وإنما يستخرج به من البخيل)[4].

ووجه دخول الشرك بالنذر أنه إذا نذر معصية ووفى به يكون قد قدم قوله أو قول الشيطان الذي أوحى إليه بذلك على قول الله تعالى وهو منهى عنه، فقد قال عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[5]، ولهذا ورد في الحديث الصحيح: «من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصيه»[6].

ويدخل في شرك اللسان كل قول مخالف لأمر الله تعالى كالكذب والزور

---

(١) رواه البخاري ومسلم عن ابن عمر مرفوعاً. بلوغ المرام ص ٢٨٣ كتاب الأيمان والنذور. رقم الحديث ١٣٨٦.

(٢) انظر المغني لابن قدامة ح ١٠ ص ٣.

(٣) الحج آية ٢٩.

(٤) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه عن ابن عمر مرفوعاً. انظر نيل الأوطار ح ٨ ص ٢٤٠ كتاب النذر باب نذر الطاعة مطلقاً ومعلقاً. رقم الحديث ٢.

(٥) الحجرات آية ١.

(٦) رواه أحمد والبخاري وأصحاب السنن الأربعة عن عائشة مرفوعاً. انظر فيض القدير ح ٦ ص ٢٣١ رقم الحديث ٩٠٥٦.

والبهتان والغيبة والنميمة وما شاكل ذلك إذا كان عالماً بالتحريم ومستحلاً للمخالفة.

الصورة الثالثة: ـ الشرك الجوارحي: ـ

حركة الإنسان في الحياة يجب أن تكون منسجمة مع شرع الله تعالى ليتحقق لصاحبها وصف الإسلام لله تعالى، وإذا خرج بشيء منها عن ذلك فإنه يكون مستجيباً لوساوس إبليس وإيحاءاته فيكون في حال العلم بالمخالفة، واستباحتها مشركاً بالله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾[1]، وللشرك الجوارحي صور كثيرة من أهمها: ـ

أولاً: ـ القيام: ـ وهو الوقوف على جهة التعظيم والتقديس ويسمى القنوت، ولا يجوز أن يصرف إلا لله تعالى وحده كما قال تعالى: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾[2]، وللقيام حالتان: ـ

الحالة الأولى: ـ محرمة: وهي ما كان على هيئة ما يفعله الفرس بملوكهم حيث يقوم مجموعة من الناس بالقرب من الملك وقوفاً لا يتحركون طيلة مدة وقوفهم تعظيماً للملك، وفي هذا ورد الحديث: «من أحب أن يتمثل له الناس قياماً فليتبوأ مقعده من النار»[3]، وقد صلى النبي ﷺ جالساً بعد أن كان قد سقط عن فرسه على جنبه الأيمن وقال (إنما جعل الإمام ليؤتم به... وإذا صلى قاعداً فصلوا قعوداً أجمعين)[4] لكنه في مرضه الأخير صلى قاعداً وهم قيام[5].

---

(١) الأنعام آية ١٦٢.

(٢) البقرة آية ٢٣٨.

(٣) رواه أحمد والطيالسي في مسنديهما، ورواه الترمذي وغيره عن معاوية مرفوعاً. انظر كشف الخفاء ح ٢ ص ٣٠٦. رقم الحديث ٢٣٥٠.

(٤) رواه البخاري ومسلم وأصحاب السنن الأربعة. انظر جمع الفوائد ح ١ ص ٢٤٧ كتاب الإمامة في الصلاة. رقم الحديث ٧٦٣.

(٥) رواه البخاري وقال: ولم يأمرهم بالقعود وإنما يؤخذ بالآخر فالآخر من فعل النبي ﷺ، انظر صحيح البخاري ح ١ ص ١٦٧ كتاب الصلاة. باب إنما جعل الإمام ليؤتم به. وذكر ابن حجر أن هذا هو قول الشافعي أيضاً وأبي حنيفة وأبي يوسف والأوزاعي ومالك. وفي المسألة كلام طويل. انظر فتح الباري ح ٢ ص ١٧٦. رقم ١٨٩.

الحالة الثانية: ـ مباحة: وهي ما كانت على جهة التكريم، وقد كان النبي ﷺ يقوم لابنته فاطمة إذا جاءت ويقبل يدها[١]، وفي الحديث: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»[٢]، فإذا كان من عادات الناس إكرام الرجل بالوقوف له عند قدومه فلا مانع من ذلك، وقد قال ﷺ لأصحابه حين قدم سعد بن معاذ وكان قد أصيب بسهم في أكحله في معركة الخندق: «قوموا إلى سيدكم»[٣].

ثانياً: ـ الركوع: ـ وهو الانحناء على جهة التعظيم، ولا يكون الركوع لغير الله تعالى، لأنه نوع من العبادة كالقيام، وفي الحديث: «أما الركوع فعظموا فيه الرب»[٤]، فالركوع لغير الله تعالى شرك بالله تعالى كما يفعل بعض الناس عند اللقاء وفي المسارح حيث ينحنون للجمهور.

ثالثاً: ـ السجود: ـ وهو رمز الخضوع التام بوضع الجبهة على الأرض وقد يطلق الركوع على السجود كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾[٥]، فالسجود هنا بمعنى الانحناء على جهة التكريم بأمر الله تعالى للملائكة فليس عبادة منهم له، ولا يجوز السجود لغير الله تعالى لأنه عبادة، ولكنه حصل ها هنا لآدم عليه الصلاة والسلام بأمر الله تعالى فهو طاعة لله تعالى، وفي الحديث: «لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لغير الله تعالى لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها»[٦].

---

(١) رواه أبو داود والترمذي والنسائي وغيرهم، انظر تحفة الأحوذي ح ٨ ص ٣١ كتاب الأدب، باب كراهية قيام الرجل للرجل، رقم الحديث ٢٩٠٢. وقد أورد المؤلف آراء العلماء وأدلتهم في الخلاف في هذه المسألة.

(٢) رواه البخاري ومسلم وأصحاب السنن الأربعة عن أبي شريح العدوي مرفوعاً. انظر جمع الفوائد ح ٢ ص ٤٣٠ كتاب البر والصلة. باب الرحمة والضيافة. رقم الحديث ٨٣٠٦.

(٣) رواه البخاري ومسلم عن أبي سعيد مرفوعاً. انظر كشف الخفاء ح ٢ ص ١٥٣ رقم ١٩٠٤.

(٤) رواه مسلم. انظر مختصر مسلم للمنذري ح ١ ص ٨٤ كتاب الصلاة. باب النهي عن القراءة في الركوع والسجود. عن ابن عباس مرفوعاً. رقم الحديث ٢٩٥.

(٥) البقرة آية ٣٤.

(٦) رواه القزويني عن ابن أبي أوفى، وكذا ابن حبان في صحيحه، ورواه الترمذي عن أبي هريرة مرفوعاً. انظر الترغيب والترهيب ح ٣ ص ٥٥. رقم الحديث ٢٢ و٢٣.

رابعاً: ـ الصيام: ـ وهو الامتناع عن الشراب والطعام والجماع من طلوع الفجر إلى غروب الشمس طاعة لله تعالى، فمن امتنع عن ذلك استجابة لنداء أو طلب أحد من دون الله تعالى في حال الاختيار طاعة له فيما حرم الله تعالى على جهة التعبد بأن يأكل حيث يحرم الأكل أو يمتنع حيث يجب فقد أشرك بالله تعالى، كما يفعل عملاء الجن من الإنس حيث يطلب الجني من عميله الإنسي ترك نوع من الأطعمة تعبداً، ليستجيب له، فيقع الإنسي في الشرك لأنه امتنع عن الطعام استجابة لأمر الجني وهو نوع من الصيام، وفي الحديث القدسي عن الصوم (فإنه لي وأنا أجزي به)[1].

خامساً: ـ الذبح: ـ وهو قطع الودجين والحلقوم والمريء من البهيمة ليخرج جميع دمها ويطيب لحمها، والله تعالى هو الذي أودع فيها الروح فلا يجوز إزهاقها إلا بإذنه، فيجب تسمية الله تعالى عليها دون غيره: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾[2].

ومحل اعتبار المخالفة الشرعية شركاً هو ما إذا علم المخالف بالحكم واستباح خلافه مع الاختيار.

ثالثاً: الشرك في الأسماء والصفات

ينقسم الشرك في الأسماء والصفات إلى نوعين: ـ

النوع الأول: ـ شرك سلبي: ـ وله صورتان: ـ

الصورة الأولى: ـ شرك سلبي كلي: ـ وذلك بنفي أسماء الله تعالى وصفاته جملة وتفصيلاً بالتأويل بحجة الخوف من الوقوع في التجسيم كما فعل الجهمية الذين نفوا أسماء الله تعالى وصفاته.

الصورة الثانية: ـ شرك سلبي جزئي: ـ بإثبات الأسماء. دون الصفات بحجة

---

(١) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة مرفوعاً، انظر الترغيب والترهيب ح ٢ ص ٧٩ كتاب الصوم باب الترغيب في الصوم مطلقاً، رقم الحديث ١.

(٢) الأنعام آية ١٢١.

أن الأسماء منتهاها إلى مسمى واحد، وأن الصفات يفضي إثباتها إلى التجسيد فيجري نفيها بالتأويل كما فعل المعتزلة والمفوضة.

النوع الثاني: ـ شرك إيجابي: ـ وله صورتان: ـ

الصورة الأولى: ـ شرك إيجابي كلي: ـ بإثبات صفات الله تعالى ولكن على نحو ما هي ثابتة للمخلوقين ولها حالتان: ـ

الحالة الأولى: ـ تشبيه مخلوق بخالق: كما فعل النصارى حيث قالوا: إن عيسى عليه الصلاة والسلام ابن الله تعالى، وكما فعل اليهود حيث قالوا في العزير إنه ابن الله تعالى، وكما فعل بعض مشركي العرب حيث قالوا إن الملائكة بنات الله تعالى.

الحالة الثانية: تشبيه خالق بمخلوق كما فعل الكرامية المجسِّمة الذين قالوا إن صفات الله تعالى كمثل صفات المخلوق.

الصورة الثانية: ـ شرك إيجابي جزئي: ـ وذلك بإثبات البعض من الصفات ونفي البعض الآخر بالتأويل كما فعل الأشعرية الكلابية، حيث أثبتوا عشرين صفة لله تعالى ـ واحدة نفسية وخمس سلبية وسبعة معاني وسبعة معنوية ـ ونفوا ما عدا ذلك من الصفات بالتأويل، بحجة الخوف من الوقوع في التجسيم، وجاراهم في كثير من ذلك الماتريدية.

ومحل الحكم بالشرك على شخص أو جهة: هو إذا عاند الحق بعد أن وصلته الحجة فيه.

تنبيه: يجب الحذر من الحكم على الأشخاص بالكفر أو بالشرك بصورة اجتهادية لاحتمال أن لا تكون الأدلة الشرعية في ذلك قد وصلتهم أصلاً، أو كانت قد وصلتهم ولكن لها تأويلاً عندهم فيه شبهة، وذلك يمنع من وصفهم بالكفر أو بالشرك..

ونحن حين نقسم الشرك على نحو ما ذكرنا فإنما نعني به الآراء دون أصحابها، فلا يلزم من تكفير القول تكفير القائل، لاحتمال أن تكون له شبهة

فيما قال به، وفي الحديث (إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما، فإن كان كما قال وإلا رجعت عليه)[1] وإنما يحكم على قائلها فيمن لا يستحقها بالكفر، لأنه يكون قد وصف الإسلام فيه بالكفر، وهذا هو عين الكفر، مع ما في ذلك من خطورة كبيرة بين المسلمين، لما يترتب عليه من فتح باب التكفير والتكفير المضاد الذي يؤدي إلى استباحة الأموال والدماء والأعراض فيهم، وقد قال ﷺ (كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه)[2] فمن جرى تكفيره استبيح ذلك فيه.

(١) رواه مالك والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي عن ابن عمر مرفوعاً بلفظ (إذا قال الرجل لأخيه يا كافر، فقد باء بها أحدهما، فإن كان كما قال وإلا رجعت عليه) انظر الترغيب والترهيب ح ٣ ص ٤٦٣ كتاب الأدب باب الترهيب من قوله لمسلم: يا كافر. رقم الحديث ١.

(٢) رواه مسلم وأبو داود وابن ماجه عن أبي هريرة مرفوعاً. انظر كشف الخفاء ح ٢ ص ١٨٣ رقم الحديث ١٩٩٣.

obeikandl.com